AL ATSAR : Jurnal Ilmu Hadits
Volume 1 Nomor 2 Oktober 2023
Email Jurnal : al.atsar.ejornal@gmail.com
Website Jurnal : ejournal.stdiis.ac.id/index.php/Al-Atsar

الأساليب النّبوية في حبّ الوطن، وحمايته، وتنميته

Abdussami Muhammad al-Anis
Program Studi Ilmu Hadits
University of Sharjah, UEA
dranis@sharjah.ac.ae

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن بحث: **الأَساليب النَّبَوِيَّةُ في حُبِّ الوَطَنِ وحمايته وتنميته**

يتناول هدي النبي صلى الله عليه وسلم في حب الوطن، وأفانينه في هذا الحب، وتفصيل أساليبه في حمايته، وتنميته.

وحبّ الإنسان لموطنه الذي عاش فيه وترعرع في أكنافه، أمرٌ يجده كل إنسان في نفسه، فهو غريزة متأصّلة في النفوس، تجعل الإنسان يستريح إلى البقاء فيه، ويحنّ إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هوجِم، ويغضب له إذا انتُقص.

يقول الأصمعي: "قالت الهند: ثلاث خصال في ثلاثة أصناف من الحيوانات: الإبل تحن إلى أوطانها وإن كان عهدها بها بعيدًا، والطير إلى وكره وإن كان موضعه مجدباً، والإنسان إلى وطنه وإن كان غيره أكثر نفعاً"[489].

[489] كشف الخفاء للعجلوني 347/1

وقد قضت حكمة الله تعالى أنْ يستخلف الإنسان في هذه الأرض ليعمرها على هدى وبصيرة، وأنْ يستمتع بما فيها من الطيبات والزينة، لاسيما أنها مسخرة له بكل ما فيها من خيرات ومعطيات؛ لذا فإنَّ حب الإنسان لوطنه، وحرصه على المحافظة عليه واغتنام خيراته؛ إنما هو تحقيق لمعنى الاستخلاف.

ولهذا كان من الأهمية بمكان الانتقال من المشاعر الفياضة إلى سلوكيات عملية تعبِّر تعبيراً حقيقياً عن حب الأوطان، والذود عنها، والتفاني في خدمتها، ورفعة شأنها.

وكيف نترجم هذا الحب إلى أساليب مبتكرة في الدفاع عنه، وتنميته في شؤون الحياة كلها؟

ولا يتم ذلك إلا إذا وقر في قلب المسلم أنَّ حب الأوطان، ليس مشاعر وعادات فحسب، وإنما من كونه عادات، وإنما هو مفردات إيمانية يثاب عليها فاعلها، ويأثم إن هو قصَّر في أدائها.

وقد وفق الله تعالى أن أحصيت عشرة أساليب نبوية في حب الوطن، وحمايته، وتنميته، استنبطتها من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته المطهرة، وهديه في بناء أول وطن للمسلمين، وهو المدينة النبوية المنورة، فهي المثال الذي يجب أن يحتذى في بناء الأوطان وحمايتها، وتنميتها، وتقدمها، ورفعة شأنها.

وقد اشتمل البحث على تمهيد، وعشرة مطالب، هي:

المطلب الأول: أسلوبهصلى الله عليه وسلم في حب الوطن.

المطلب الثاني: أسلوبه صلى الله عليه وسلم في حراسته.

المطلب الثالث: أسلوبه صلى الله عليه وسلم في حمايته من الفتن الداخلية.

المطلب الرابع: أسلوبه صلى الله عليه وسلم بتنميته في الجانب الاقتصادي.

المطلب الخامس: أسلوبه صلى الله عليه وسلم بتنميته في الجانب الزراعي.

المطلب السادس: أسلوبه صلى الله عليه وسلم بتنميته في الجانب العمراني.

المطلب السابع: أسلوبه صلى الله عليه وسلم بتنميته في جانب الثروة الحيوانية.

المطلب الثامن: أسلوبه صلى الله عليه وسلم بتنميته في الجانب التعاوني.

المطلب التاسع: أسلوبه صلى الله عليه وسلم في نظافته، وحمايته من التلوث.

المطلب العاشر: أسلوبه صلى الله عليه وسلم في تنمية السكان.

التمهيد: وفيه: أولاً: تعريف الوطن لغة، وفي المفهوم المعاصر:

مفهوم الوطن لغة: المنزل تقيم به، وهو موطن الإنسان ومحله[490].

وأما في المفهوم المعاصر: الدولة التي ولد فيها الإنسان الذي يحمل جنسيتها تبعاً لآبائه وأصوله الذين توارثوا هذه الجنسية، وقد تمنح الدولة شرف المواطنة (الجنسية) لمن لم يولد، أو ولد على أرضها، إذا كانت مصلحة الوطن تستدعى ذلك [491].

ثانياً: حب الوطن في القرآن الكريم:

قال تعالى: (**قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَ أَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**) (التوبة :24)ذكر الحق سبحانه هذه المحبوبات الثمانية التي يتعلق بها قلب الإنسان ويحبها، لكنه جلَ وعلا حذَّر من طغيان محبتها على محبة الله تعالى ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيله، ولو لم تكن مشروعة لما ذكرها تعالى ضمن محبوبات الإنسان.

[490] لسان العرب، باب النون، فصل الواو، (451/13)

[491] الحقوق الشرعية لوطني، للدكتور إسماعيل محمد علي عبدالرحمن، ص (3)

وقال تعالى: (**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**) (الحشر: 8)

وقال تعالى: (**لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) (الممتحنة: 8)

وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ**﴾ (النساء: 66) هذه الآيات تؤكد أن الوطن عزيزٌ، وأنَّ الإخراج منه أمر تكرهه النفوس، وفي ذلك إشارة واضحة على أن حب الوطن مشروع ومتقرر في النفوس.

المطلب الأول: أسلوبهصلى الله عليه وسلم في حب الوطن

وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم في حب الوطن تسعة أحاديت، منها ما هو صريح، ومنها ما هو غير صريح، وفيها يتبيَّن أفانينه في هذا الحب، وشوقه لها، وحنينه إليها إذا غاب عنها، ودعاؤه لها، أبيّنها في الآتي:

أولاً: حبه السكن الدائم في وطنه، ورغبته في عدم الخروج منه:

1. جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لمكة: "**ما أطيبكِ مَنْ بَلَدٍ وأحبّكِ إليّ، ولولا أنّ قومَكِ أخرجوني مِنْكِ ما سَكنتُ غيرك**"[492].

في هذا الحديث: دليل واضح أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب وطنه مكة، فقد ولد ونشأ وترعرع فيها، وقوله: "**ما سكنتُ غيرك**" دليل على أنه لو لم يخرج من مكة مضطراً لما سكن غيرها.

[492] رواه الترمذي، كتاب الدعوات، أبواب المناقب، باب في فضل مكة (3891) وقال: "حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه". وابن حبان، كتاب الحج، باب فضائل مكة (3792)

2. وعن عبدالله بن عدي قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً على الحَزورة، فقال: **"وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللَّهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَلَوْلا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ"**[493].

3. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "إِنَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ...،

وفيه: قال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا ذَكَرَ حَرْفًا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: **أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟** قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا أُوذِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللَّهِ"[494].

قال السهيلي: "وفي بقية الحديث أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لتكذبنه، فلم يقل النبي عليه السلام شيئاً، ثم قال: لتؤذينه، فلم يقل النبي عليه السلام شيئاً، ثم قال: ولتخرجنه، فقال: أو مخرجيَّ هم؟ ففي هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقته على النفس... فلذلك تحركت نفسه عند ذكر الخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك، فقال أو مخرجي هم؟ والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الاخراج بالسؤال عنه، وذلك أنَّ الواو ترد الى الكلام المتقدم، وتشعر المخاطب بأنَّ الاستفهام على جهة الانكار أو التفجع لكلامه أو التألم منه"[495].

ثانياً: شدة شوقه لوطنه، والإسراع في العودة إليه:

[493] رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب في فضل مكة (3926) وقال: "حديث حسن غريب صحيح"، والنسائي، كتاب الحج، أبواب الرجوع، فضل مكة، (4193)

[494] رواه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب بدء الوحي (4) واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (253)

[495] الروض الأنف (2/ 421، 422)

1- عن أنس رضي الله عنه قال: كان رَسولُ الله صلى الله عليه وسلم إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَأَبْصَرَ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ نَاقَتَهُ، وَإِنْ كَانَتْ دَابَّةً حَرَّكَهَا". زاد الحارث بن عمير: "حَرَّكَها مَنْ حُبِّها"[496].

قال ابن بطال: "وتعجيل سيره إذا نظر إليها من أجل أنَ قرب الدار يجدد الشوق للأحبة والأهل، ويؤكد الحنين إلى الوطن، وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة"[497].

وقال ابن حجر: "وفي الحديث دلالة على فضل المدينة، وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليه"[498].

2- لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك قال: "**إِنِّي مُتَعَجِّلٌ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَعَجَّلَ مَعِي فَلْيَتَعَجَّلْ "**[499]. وفي لفظ: " **إِنِّي مُسْرِعٌ، فَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ فَلْيُسْرِعْ مَعِي، وَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْكُثْ "**[500]. وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**إِنِّي مُتَعَجِّلٌ إِلَى الْمَدِينَةِ**" أو "**نِّي مُسْرِعٌ**" إشارة إلى حنينه صلى الله عليه وسلم إلى وطنه، وشوقه إليه، بعد مفارقته له.

قال شمس الحق آبادي: قوله: **(فَلْيَتَعَجَّل):** وَفِي فَوَائِد لِلْحَافِظِ أَبِي عَلِيّ بْن خُزَيْمَةَ أَقْبَلْنَا مَعَ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وسلم حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ الْمَدِينَة أَخْذ طَرِيق غُرَاب لِأَنَّهَا أَقْرَب إِلَى الْمَدِينَة وَتَرَكَ الْأُخْرَى"[501].

[496] رواه البخاري، كتاب العمرة، باب من أسرع ناقته إذا بلغ المدينة (1802) ورواية الحارث وصلها أحمد في مسنده، (12386)

[497] في شرحه لصحيح البخاري (555/4)

[498] فتح الباري (705/3)

[499] رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب خرص الثمر (1394)

[500] رواه مسلم، كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه (2474)

[501] عون المعبود (231/8)

ثالثاً: الحنين إليه عند ذكره: يُروى عن أُصيل الغِفاري، ويقال: الهذلي، أنه قدم من مكة فسألته عائشة رضي الله عنها: كيف تركت مكة يا أصيل؟ قال: تركتها حين ابيضت أباطحها، وأحجن ثمامها، وأعذق إذخرها، وأمشر سلمها، فاغرورقت عيناه صلى الله عليه وسلم وقال :" **تشوقنا يا أصيل**"[502]، ويروى أنه قال له: "**دع القلوب تقر**"[503].

رابعاً: الاستبشاربرؤية معالمه: عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى خَيْبَرَ أَخْدُمُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ نَّبِيُّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَاجِعًا وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ، قَالَ: "**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**"[504].

قال ابن عبدالبر: "ومجازه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفرح بأُحدٍ إذا طلع له استبشاراً بالمدينة"[505]. وقال ابن حجر: "تكرر منه صلى الله عليه وسلم ذلك القول، وللعلماء في معنى ذلك أقوال:

أحدها: أنه على حذف مضاف، والتقدير: أهل أحد، والمراد بهم: الأنصار؛ لأنهم جيرانه.

ثانيها: أنه قال ذلك للمسرة بلسان الحال إذا قدم من سفر لقربه من أهله ولقياهم، وذلك فعل من يحب بمن يحب.

ثالثها: أنَّ الحب من الجانبين على حقيقته، وظاهره لكون أحد من جبال الجنة كما ثبت في حديث أبي عبس بن جبر مرفوعاً: "جبل أحد يحبنا ونحبه، وهو من جبال الجنة"[506].

---

[502] أخرجه الخطابي في غريب الحديث (278/1) بسنده الى ابن شهاب الزهري، وهو مرسل، وابن أبي الدنيا في كتاب المطر والرعد والبرق، برقم (80)

[503] ذكره ابن الجوزي في مثير الغرام الساكن الى أشرف الأماكن، باب فرض الحج، ذكر سبب توقان النفس الى مكة، ص: (76)

[504] رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الخدمة في الغزو (2690) واللفظ له، ومسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة (2436)

[505] التمهيد (177/20)

[506] فتح الباري (378/7)

والظاهر من هذه الأقوال ما قرره النووي، فقد قال: "الصحيح هو ظاهره، وأن معناه يحبنا هو بنفسه، وقد جعل الله فيه تمييزاً"[507].

خامساً: دعاؤه للوطن:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وُعِكَ أبو بكر وبلال رضي الله عنهما قالت: فدخلتُ عليهما قلت: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت: وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِه

وكان بلال إذا أقلعت عنه يقول:

ألا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مِجَنّةٍ؟ وَهَلْ تَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ؟

قالت عائشة فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: **"اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ"**[508]. قال الإمام السهيلي: "في هذا الخبر وما ذكر فيه من حنينهم الى مكة ما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين إليه"[509].

سادساً: الاستشفاء بتربة الوطن:

[507] شرح صحيح مسلم (ص: 1044)

[508] رواه البخاري، كتاب المناقب، باب مقدم النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه المدينة (3659)

[509] الروض الأَنف (44/5)

عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِأُصْبُعِهِ هكَذا- وَوَضَعَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَة الرَّاوي سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَها- وَقَالَ: «**بِسمِ اللهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا**»[510].

قال البشير الإبراهيمي نقلاً عن الشيخ عبد الحميد بن باديس: ".. كانوا يعلمون من علم الفطرة أنَّ تربة الوطن تغذي وتروي، فجاءهم من علم النبوة أنها تشفي، فليس هذا الحديث إرشاداً لمعنى طبي، ولكنه درس في الوطنية عظيم. ولو أنصف المحدثون لما وضعوه في باب الرقى والطب، فإنه بباب "حب الوطن" أشبه. وما ترى ذلك الغريب المريض الذي سئل فيم شفاؤك؟ فقال: شمة من تربة إصطخر، وشربة من ماء نهاوند، إلاّ من تلامذة هذا الدرس. ولقد زادنا إيماناً به بعد إيمان أنه يقول: "**تربة أرضنا، بريقة بعضنا**". ولم يقل: تربة الأرض بريق بني آدم فليس السر في تربة وريق ومِرض. ولكن السر في أرضنا وبعضنا ومريضنا- فهذه- والله ربنا- صخرة الأساس في بناء الوحدة الوطنية[511].

المطلب الثاني: أسلوبه صلى الله عليه وسلم في حراسته

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «**عَيْنَانِ لاَ تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»[(512)].

يستفاد من هذا الحديث النبوي: أنَّ الْعَيْن السَّاهِرَة عَلَى حُقُوقِ النَّاسِ، الْحَارِسَة لِحُدُودِ الْوَطَنِ، الْقَائِمَة عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ قد حَرَّمَهَا اللَّهُ عَلَى النَّارِ.

[510] أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب رقية النبي صلى الله عليه وسلم(5745) ومسلم، كتاب السلام، باب استحباب الرقية، (2194) واللفظ له.

[511] آثار محمد البشير الإبراهيمي (١/ ٣٥٣، ٣٥٤)

([512]) رواه الترمذي في جامعه، (1639)

ويدخل في ذلك: كل ما يتعلق بأمن الناس في الوطن، وراحتهم، وصحتهم، وحمايتهم من الجرائم والمخدرات.

المطلب الثالث: أسلوبه صلى الله عليه وسلم في حمايته من الفتن الداخلية

وقد جاء في الهدي النبوي روائع وتوجيهات تحفظ على الأوطان سلمها الأهلي وأمنها الاجتماعي، من ذلك:

1- تحريم الاقتتال: فقد جاء عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال، قال لي رسول الله ﷺ في حجة الوداع: **"اسْتَنْصِتِ النَّاسَ"**، فَقَالَ: **"لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ"**[513]. وهي وصية عظيمة، أوصى بها النبيﷺ أمته في أفضل زمان: حجة الوداع وأفضل مكان: جبل عرفة.

2- **طاعة أولي الأمر بالمعروف، وعدم الخروج عليهم:** فقد قال النبي ﷺ: **"مَن خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عُمِّيَّة يغضب لعَصَبَة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة فقُتل، فقِتَلَة جاهلية. ومن خرج على أمتي يضرب بَرَّها وفاجرَها، ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه"**[514].

وقال النبي ﷺ: **"مَنْ أتاكم، وأمركُم جميعٌ، على رجلٍ واحدٍ، يريدُ أن يشقَّ عصاكُم، أو يفرقَ جماعتكُم، فاقتلوهُ"**[515].

3- **عدم حمل السلاح والاقتتال بين المسلمين في الأوطان:** وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"مَن حمل علَينا السِّلاحَ فليسَ منَّا، ومَن غشَّنا فليس منَّا"**[516].

ومن الأمثلة على ذلك ما وقع في غزوة بني المصطلق، فقد جاء عن جابر رضي الله عنه أنه قال:

[513] رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، (4166)

[514] رواه مسلم (1848)

[515] رواه مسلم (١٨٥٢)

[516] رواه مسلم (١٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

كُنَّا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم في غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقالَ الأَنْصَارِيُّ: يا لَلأَنْصَارِ، وَقالَ المُهَاجِرِيُّ: يا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ما بَالُ دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ؟ قالوا: يا رَسولَ اللهِ، كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَقالَ: دَعُوهَا، فإنَّهَا مُنْتِنَةٌ فَسَمِعَهَا عبدُاللهِ بنُ أُبَيٍّ – رأس النفاق- فَقالَ: قدْ فَعَلُوهَا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ. قالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هذا المُنَافِقِ، فَقالَ: **دَعْهُ، لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**"[517].

ويلاحظ أن النبي ﷺ لم يأمر بقتله، معللاً ذلك بقوله: «لا يتحدث الناس أنَّ محمداً يقتل أصحابه». وذلك لأنَّ المنافق يعتبر في الأحكام القضائية الدنيوية مسلماً مع وجوب الحيطة والحذر منه. وهو تصرف يحفظ للمجتمع: سلمه الأهلي، وأمنه الاجتماعي. ولقد كان من نتيجة هذه الحكمة أن انحسر عن عبد الله بن أبيّ قومه فكانوا هم الذين يعنّفونه ويفضحون أمره إذا ما أراد أن يحدث شيئاً.

قال النووي: "قوله ﷺ: **"دعه، لا يتحدث الناس أنَّ محمداً يقتل أصحابه"**، فيه: ما كان عليه ﷺ من الحلم، وفيه: ترك بعض الأمور المختارة، والصبر على بعض المفاسد، خوفا من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم منه"[518].

المطلب الرابع: أسلوبه صلى الله عليه وسلم بتنميته في الجانب الاقتصادي

الاهتمام بالحياة الاقتصادية للوطن هو أجمل تعبير عن حبه؛ لأنَّ الاقتصاد هو شريان الحياة للأوطان. ويلاحظ من مظاهر الاهتمام بالحياة الاقتصادية في عصر النبوة، العناية ما يسمى في المصطلحات الاقتصادية المعاصرة **بـالتمويل**، وإقرار أدوات كثيرة لتفعليه، تجاوز **عددها الخمسين**، وهي:

1. **التمويل الصناعي**، وفيه ما يقرب من ثلاثين أداة، وهي حِرَفٌ وصناعات مارسها النبي ﷺ ، أو أقرها، أو أوصى بها. والدارس لهذه الصناعات يجد أنها متنوعة، وشملت أكثر القطاعات، ومنها: الصناعات الجلدية، والطبية، والغذائية، والحربية، والصناعات المتعلقة بالنسيج، وبالصباغة، وبالذهب والفضة.

[517] أخرجه البخاري (4905)، ومسلم (2584)

[518] شرح صحيح مسلم (392/8)

2. **التمويل في المعاملات المالية، وفيها خمس عشرة أداة، وتشمل:**

المبايعات، ويدخل في ذلك كل أنواع البيوع المباحة المقرة في الإسلام.

والمشاركات، ويدخل في هذه النوع كل أنواع الشركات، وهذه الأداة فيها خاصية تحمل الصدمات. **والمداينات**، وهذا النوع له آثار ضارة، لأنه يزيد من احتمال الهزات، لكن وضعت له ضوابط تخفف من آثاره السيئة. ومن أمثلته: بيع السلم، ويدخل في ذلك: عقود الاستصناع. وبيع التقسيط. **والإجارة**، ولها صور متعددة، منها: الإجارة في الأمور الطبية، والتعليمية. و**الحوالة. والوكالة**[519].

المطلب الخامس: أسلوبه صلى الله عليه وسلم بتنميته في الجانب الزراعي

الاهتمام بالجانب الزراعي للوطن هو تعبير عن حبه؛ لأنَّ الزراعة فيها معايش الناس، ولها أثر في جمال المدن، وتحسين المناخ، وكل ذلك له أثر مهم في صحة الناس.

ويلاحظ أنَّ الجانب الزراعي كان واضحاً في السنة النبوية، بل عدَّه النبي صلى الله عليه وسلم باباً من أبواب الصدقات، يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**»[520].

وتفعيل هذا الجانب كان بإقرارعدد من الصيغ التي تعود بالنفع على الناس، ومن الأمثلة على ذلك:

[519] ينظر تفصيلها، والتدليل عليها في بحثي: "أدوات التمويل وموجهاته في الحديث النبوي" نشر في وقائع منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي المنعقد في دبي، (٢٠١٥)

[520] أخرجه البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع والغرس (2320) ومسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (1553)

1. **عقود المزارعة:** وذلك للاستفادة من الأراضي الزراعية والخبرات والجهود البشرية، وهذا اهتمام واضح بالقطاع الزراعي، يدل على ذلك ما جاء عن ابن عمر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من زرع أو ثمر.. [521].
2. **الأمر بإحياء الأرض الموات بالزراعة:** يدلُّ على ذلك ما جاء عن عائشة رضي الله عنها، عن النَبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: "**من أَعْمَرَ أرضاً ليست لأحدٍ فهو أَحَقُّ بها**"[522]. قال عروة – أحد رواه هذا الحديث -: قضى به عمرُ رضي الله عنه في خلافته. وفي رواية أخرى: أَنَّ النَبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "**مَنْ أحيا أرضاً ميتةً فهي له**"[523].

وقد اتفق الفقهاء على مشروعية إحياء الأرض الموات، وإن اختلفوا في بعض الشروط المعتبرة، قال الحافظ ابن حجر: "وإحياء الموات: أن يعمد الشخص للأرض لا يعلم تقدم ملك عليها لأحد فيحييها بالسقي، أو الزرع، أو الغرس، أو البناء، فتصير بذلك ملكه سواء كانت فيما قرب من العمران أم بعد، وسواء أذن له الإمام في ذلك أم لم يأذن، وهذا قول الجمهور، وعن أبي حنيفة: لابدَّ من إذن الإمام مطلقاً، وعن مالك فيما قرب: أي: لابدَّ من إذن الإمام فيما قرب من العمران"[524].

وكان لهذا الأمر أثر كبير في إحياء الأراضي الشاسعة بالزراعة، والقضاء على البطالة، ولوطبِّق هذا الأمر في العصر الحديث لكان العالم الإسلامي مصدراً للغذاء لسائر الشعوب.

---

[521] أخرجه البخاري، كتاب الحرث والمزارعة (2328) ومسلم، كتاب المساقاة، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع، (1551).

[522] أخرجه البخاري، كتاب الحرث والمزارعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً (2335) ولفظ (بها) من رواية الإسماعيلي كما في فتح الباري (434/6).

[523] أخرجه أبو داود، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في إحياء الموات (3073) والترمذي، كتاب الأحكام، باب إحياء أرض الموات (1378) عن سعيد بن زيد، وعن جابر، (1379) وقالَ: "هذا حديث حسن صحيح".

[524] فتح الباري (432/6)

3. **المحافظة على الغابات:** اتفقت كلمة علماء البيئة على أن أهم مصادر الثروة النباتية هي: الغابات، ويحصل الإنسان منها على كثير من المنتجات قدِّرت بنحو (4500) مادة مصنعة يمكن الحصول عليها جزئياً أو كلياً. فإضافة إلى الأخشاب والوقود أصبح من الممكن إنتاج الأحماض، ومواد اللصق، وعلف الحيوان، والمواد المضادة للتجميد، والملابس، والأصباغ، والمطهرات، والزيوت، والورق، واللدائن، والأدوية والمذيبات، وغير ذلك[525].

وقد ذكر علماء البيئة: أنَّ الاحتطاب الجائر- وهو قطع الأشجار، واستغلالها بمعدل يفوق قدرتها التجديدية أو التعويضية بما يؤثر سلباً على رصيدها- هو أحد الأسباب الرئيسة للتصحر الذي تعاني منه كثير من الدول.

وهي تعمل على المحافظة على نسب الغازات في الغلاف الجوي مما له أثر كبير في معالجة مشكلة تغير المناخ الناتج عن الاحتطاب الجائر للغابات، وسفوح الجبال[526]. وإذا كانت الغابات بهذه الأهمية، فإنَّ الاعتداء عليها بالقطع أو الإزالة يعد تهديداً للنظام البيئي البري في الأوطان.

فما هو يا تُرى موقف السنة النبوية من ذلك؟

الباحث في السنة النبوية يجد أنَّ النبي ﷺ قد قال: **"مَنْ قطع سِدرة صَوَّب الله رأسه في النار"**[527]. وقال أبو داود: "هذا الحديث مختصر، يعني: مَنْ قطع سدرة في الفلاة يستظل بها ابن السبيل، والبهائم عبثاً وظلماً بغير حق يكون له فيها، صوّب الله رأسه في النار".

والمراد بالسدرة: شجرة السدر المعروف، وهو ينبت في الصحاري، ويصبر على العطش، ويقاوم الحر، وينتفع الناس بتفيؤ ظلاله والأكل من ثماره، إذا اجتازوا تلك الفيافي مسافرين أو باحثين عن الكلأ والمرعى أو لغير ذلك من الأغراض.

---

[525] انظر قضايا البيئة من خلال القرآن الكريم والسنة، د. محمد السيد جميل ص25.

[526] ومن الأمثلة على ذلك: وجد أن كمية الأمطار نقصت خلال ست وعشرين سنة إلى حوالي 24% من المعدل عما كانت عليه الأمطار قبل اقتلاع الغابات في جمهورية كولومبيا، انظر كتاب علوم البيئة، ص39.

[527] رواه أبو داود في سننه، باب قطع السدر، (5239)

والوعيد بالنار لمن قطع سدرة يدل على تأكيد المحافظة على الغابات لما توفره من حفظ التوازن بين المخلوقات، وما يمثله الاعتداء عليها من فقدان بعض العناصر المهمة لسلامة الحياة والأحياء.

وبهذا سبقت السنة النبوية الجماعات والأحزاب المعاصرة في كثير من أنحاء العالم، التي تنادي بالمحافظة على "الخضرة" في الغابات وغيرها، وتندد بقتلة "الأشجار"، وبـ"المذابح" التي تتعرض لها الأراضي الخضراء نتيجة جهل الإنسان وجشعه.

ولم يقتصر النهي عن قطع الأشجار في الظروف العادية، بل تعداه إلى أوقات الحروب والأزمات، يدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم:"**... ولاتعقرنّ شجراً قد أثمر ولا تحرقنّ نخلاً، ولا تقطعنّ كرماً**"[528].

المطلب السادس: أسلوبه صلى الله عليه وسلم بتنميته في الجانب العمراني

الاهتمام بالجانب العمراني للوطن هو تعبير عن حبه؛ لأنَّ العمران فيها سكن الناس، والاهتمام به له أثر في جمال المدن[529].

وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "**إِنَّ مَثَلِي ومَثَلَ الأنبياءِ من قبلي، كمَثَلِ رجلٍ بنى بيتاً فأحسَنَهُ وأَجْمَلَهُ إلا موضعَ لَبِنةٍ من زاويةٍ، فجعلَ الناسُ يَطوفون به ويَعجبون له، ويَقُولُون: هلاَّ وُضِعتْ هذه اللَبِنةُ، قَالَ: فأنا اللَبِنَةُ، و أنا خاتَمُ الأنبياءِ**"[530].

[528] السير الكبير (183/1)

[529] وللتوسع في ذلك ينظر: كتابي "جوانب حضارية في السنة النبوية المطهرة"، الصادر عن جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، سنة 1434- 2013.

[530] اللبنة: هي قطعة من الطين تعجن وتيبس، ويبنى لها بناء، وإذا أحرقت تسمى آجرة، عمدة القاري، للعيني، (98/16) والحديث رواه البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ﷺ ، (3535)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، 964/4-965، رقم (20)، (21)، (22)، (23)

وإذا كان النَبِيُّ ﷺ قد شبه نبوة الأنبياء، ورسالاتهم بالبيت الجميل فهذا يدلُّ بطريق الإشارة على مشروعية البناء إذ لا يمكن للنبي ﷺ أن يشبِّهَ ما أتى به الأنبياء بأمر غير مشروع، فمن المعلوم بأَنَّ عظم المشبَّه يعطي أهمية للمشبَّهِ به، ولو لم يكن المشبَّهُ به لائقاً لما استحسن تشبيه النبوة به، كما يدلُّ على إتقان البناء، وتمامه.

والمهندس المعماري المسلم عندما يقرأ هذا النص النبوي فإنَّه ترتسم في ذهنه صور جميلة عن البيت الذي يوصف بالجمال، والكمال، والتناسق، ويدفعه هذا التصور إلى تجسيده واقعاً حياً في مفردات حياته اليومية فيما يتعلق بالبناء والعمران.

وعندما يقرأ قول النَبِيّ ﷺ: "**إِنَّ اللهَ جميلٌ يُحبُ الجمالَ** "[531]. فإنَّه يفتح له فضاءات واسعة في التعبير عن هذا الجمال وتجسيده واقعاً حياً في البناء والعمارة. وإنَّ المعالم المعمارية في مدننا الإسلامية تعبير حي عن صور هذا الجمال.

ولهذا كان لزاماً على كل من ينحى منحى الجمال في عمارته أن يكون بعيداً في ممارسته تلك عن مظاهر التكبر على الناس، وسلوك التعالي عليهم.

كما يدلُّ على إتقان البناء، وتمامه، وعليه فإنَّه يجوز للمسلم أن يتخذ بيتاً، وأن يجمِّله لأَنَّ الله جميل يحب الجمال، مراعياً في ذلك الاعتدال من غير غلو ولا إسراف، لأَنَّ الله لا يحب المسرفين، قال الله تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: ٣١]

بل عدَّ النبي ﷺ البيت الواسع من السعادة:

[531] أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، (91). ونصه: عن عبد اللهِ بن مَسعودٍ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**" قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: "**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُبَطَرُالْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**".

ومعنى بطر الحق: أي: "أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقا. وقيل هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله". ومعنى الغمط: الاستهانة والاستحقار. انظر النهاية، مادة: بطر، ومادة: غمط.

جاء عن نافع بن عبد الحارث قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "**من سعادةِ المرءِ: الجارُ الصالحُ، والمركبُ الهنيءُ، والمسكنُ الواسعُ**"[532].

وفي رواية: "**ثلاثةٌ من السعادةِ**: وذكر منها: .. **والدار تكونُ واسعةً كثيرةَ المرافقِ، وثلاثةٌ من الشقاءِ**: وذكر منها: .. **والدار تكونُ ضيقةً قليلةَ المرافقِ**"[533].

وجه الدلالة من هذا الحديث:

أَنَّ النَبِيَّ ﷺ ذكر لنا بعض أسباب السعادة في الحياة، ومنها: أن تكون الدار التي نسكنها صالحة للسكن، وإنَّما يتحقق صلاحها بأن تكون واسعة، وأن تكون كثيرة المرافق.

والسعة هنا ضرورة نفسية، واجتماعية، فالبيت الضيق له آثاره السيئة في نفوس ساكنيه لا يناسب التكريم الذي أراده الله لعباده.

ومن هنا نفهم لماذا عَدَّ النَبِيُّ ﷺ الدار الواسعة نوعاً من أنواع السعادة، ذلك لأَنَّ هذه السعة توفر للساكن فيها جواً ملائماً لتطبيق مفردات السعادة، وتعينه على تحقيقها.

وجاء في حديث سعد بن أبي وقَّاص قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "**من سعادةِ ابنِ آدمَ ثلاثةٌ، ومن شِقْوةِ ابنِ آدمَ ثلاثةٌ: من سعادةِ ابنِ آدمَ المرأةُ الصالحةُ، والمسكنُ الصالحُ، والمركبُ الصالحُ، ومن شِقْوةِ ابنِ آدمَ المرأةُ السُّوءُ، والمسكنُ السُّوءُ، والمركبُ السوءُ**"[534].

---

[532] رواه أحمد في مسنده 86/24 (15372)، والبخاري في الأدب المفرد (116) و (457)، والحاكم (166/4) من طرق عن سفيان، به، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (163/8)، وقالَ: "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح".

[533] أخرجه الحاكم في مستدركه (162/2)

[534] أخرجه أحمد 55/3 (1445)، والحاكم في المستدرك 162/2، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (4032) بنحوه، وفيه: **أربعٌ من السعادة:** ..." أضاف: "**الجار الصالح**".

فقول النبي ﷺ: **"المسكن الصالح"** أي: صالح للسكن الذي يحقق أهدافه، والصلاح هنا كلمة عامة يدخل تحتها تفاصيل كثيرة، فصلاح العمارة يقتضي أن يكون البناء قوياً، وأن يكون صحياً يدخل فيه الهواء، وتمر عليه الشمس فلا يجوز للجار أن يرفع بناءه فوق بناء جاره ارتفاعاً يؤدي إلى منع الهواء والشمس من دخولهما الدار، وأن يتخذ التدابير اللازمة لتحقيق ذلك.

هذا الإرشاد النبوي وجد صدى عند علماء المسلمين فراحوا يبحثون في أسباب صحة البيوت، ويبينون أوصاف البيت الذي يصلح للسكنى[535].

ومن الأمثلة على ذلك: أسلوب "إحياء الموات"، وذلك بتمليك الأرض لمن يعمل على استصلاحها، وبناء بيت فيها.

وأسلوب "إحياء الموات" له أهمية كبيرة في معالجة كثير من المشكلات الاجتماعية الناتجة عن مشكلة عدم وجود السكن لكثير من الأسر، وأصبحت تؤرق الناس، ولا سيما الشباب، وقد يدفعهم ذلك إلى تأخير مشروع الزواج، وهو أمر له مخاطر كثيرة، وآثار سيئة في المجتمع المسلم. كما أن له أثراً في تعزيز الانتماء للوطن لدى السكان القاطنين فيه، وخدمته والدفاع عنه. وعندما طبَّقه النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة، وهجرة أصحابه كانت له نتائج عظيمة في معالجة كثير من المشكلات التي نشأت عن الهجرة. وعندما أهمل تطبيقه في بعض الفترات من تاريخنا الإسلامي كان لذلك آثار سيئة [536].

المطلب السابع: أسلوبه صلى الله عليه وسلم بتنميته في جانب الثروة الحيوانية

الاهتمام بالثروة الحيوانية هو وجه آخر من وجوه التعبير عن حب الوطن؛ لأنَّ الثروة الحيوانية فيها معايش الناس، والناظر في الحديث النبوي يجد أنه قد وردت أحاديث متعددة في تنمية الثروة الحيوانية، والمحافظة على الحيوان،

[535] ومن هؤلاء: العلامة الحبشي فقد ذكر كلاماً جيداً في المسكن الصحي في كتابه: البركة في فضل السعي والحركة ص (273) وقد تقدم.

[536] للاطلاع على أهمية هذا المبدأ، والآثار التي نتجت عن إهماله، ينظر كتاب: عمارة الأرض في الإسلام للدكتور جميل عبد القادر أكبر.

وحمايته، والمنع من التعدي عليه، وعدم تعذيبه، أو تعريضه للهلاك، والرفق الكامل به، وقد اتخذ لتحقيق هذا الغرض أساليب متعددة فمن ذلك:

أولا: تنميتها وإكثارها: وذلك لما في إكثارها من إصلاح أحوال الناس في معاشهم؛ إذ إن الحيوان لا يستغني عنه الإنسان في غذائه، وقضاء مصالحه. والاهتمام بذلك مهم لمعالجة مشكلات نقص الغذاء في الأوطان.

ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

1. الاهتمام برعي الغنم: وقد جاء عن أبي هريرة، عن النبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "**مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ**. فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: **نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ**"[537].
2. واتخاذها، لقول النبي صلى الله عليه وسلم لأم هانئ: **"اتخذي الغنم فإن فيها بركة"**[538].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُتي باللبن قال: كم في البيت؟ بركة أو بركتين"[539].

فوصفه صلى الله عليه وسلم الغنم بالبركة يدل على المنفعة الحاصلة بتربية الأغنام، وتنميتها حيث يستفيد منها الإنسان: اللبن، واللحم، والصوف، والجلد، وكلها من لوازم حياة الإنسان.

3. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"**[540].

ثانياً: الرفق بالحيوان، وقد اتخذ الرفق في السنة النبوية مظاهر متعددة، من ذلك:

---

[537] أخرجه البخاري، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط (2262)

[538] رواه أحمد في مسنده برقم (37381)، وابن ماجه، كتاب التجارات، باب اتخاذ الماشية، برقم (2304)

[539] رواه أحمد في مسنده برقم (25124)، وابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب اللبن، (3321)

[540] رواه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، (3644)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الخيل في نواصيها الخيرإلى يوم القيامة، (1871)

أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم وعد من رعى الحيوان بنوع من أنواع الرعاية، ولو أن يسقيه شربة ماء بالمغفرة، ودخول الجنة يدل على ذلك: ما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش، فوجد بئرا، فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي، فنزل بئراً فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه، ثم رقي، فسقى الكلب فشكر الله له، فغفر له، -وفي رو اية: فأدخله الجنة-[541] قالوا يا رسول الله: وإن لنا في هذه البهائم لأجرا؟ فقال: في كل كبد رطبة أجر"**[542]. والكبد الرطبة: هي كل ماله روح، ذلك أن الكبد لا تكون رطبة إلا وصاحبها حي[543].

قال الإمام النووي: ".. فيحصل الثواب بسقيه، ويلتحق به إطعامه، وغير ذلك من وجوه الإحسان إليه"[544].

بل إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم جعل جزاء من يتعدى على الحيوان بتعذيبه وحبسه دخول النار، يدل على ذلك ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"عُذِّبت امرأةٌ في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض"**[545].

قال ابن المنيّر: "دلَّ الحديث على تحريم قتل مَنْ لم يؤمر بقتله عطشاً ولو كان هرة"[546].

ثالثاً: ومن مظاهر الاهتمام: عدم تعريض الحيوان للفناء والانقراض من غير ضرورة ولا حاجة موجبة:

---

[541] في رواية ابن حبان: فأدخله الجنة كما في فتح الباري (469/6)

[542] رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب: إذا شرب الكلب، (173) وكتاب الشرب والمساقاة، باب فضل سقي الماء، (2363)، وفي كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (6009) ورواه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها، (2244)

[543] جامع الأصول (527/4)

[544] فتح الباري (470/6)

[545] رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، (3482) ومسلم في صحيحه، كتاب الحيوان، باب تحريم قتل الهرة، (2242)

[546] فتح الباري (470/6)

أ – يؤخذ ذلك من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:**"ما من إنسان يقتل عصفوراً فما فوقها بغير حقها إلا سأله الله عزوجل عنها"**. قيل يا رسول الله: وما حقها؟ قال: **"حقها أن يذبحها فيأكلها، ولا يقطع رأسها فيرمي بها"**[547].

ب – وحديث الشريد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **"مَنْ قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة، يقول يا رب: إنَّ فلاناً قتلني عبثاً، ولم يقتلني لمنفعة"**[548].

المطلب الثامن: أسلوبه صلى الله عليه وسلم بتنميته في الجانب التعاوني

إنَّ الاهتمام بهذا الجانب وجه آخر من وجوه التعبير عن حب الوطن.

والتعاون له آفاق واسعة، ومظاهر كثيرة، وعلى مسؤولي المجتمع كل في موقعه، العمل على إحياء هذا الجانب، ورسم الخطط لتنفيذه والإبداع فيه في كل مجالات الحياة، ومن مظاهره: الأعمال التطوعية، والجمعيات الخيرية.

وقد قال الله تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّوَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾

[547] أخرجه أحمد في مسنده، (6550)، والنسائي في سننه، كتاب الضحايا، باب من قتل عصفواً بغير حقها، (4445)، والحاكم في مستدركه (233/4) وصححه ووافقه الذهبي واللفظ له.

[548] أخرجه أحمد في مسنده، (19470) والنسائي في سننه كتاب الضحايا، باب من قتل عصفواً بغير حقها، (4446) وابن حبان في صحيحه، (5849)

[المائدة :٢]

ومن الأمثلة على ذلك: إشاعة القرض الحسن، لا سيما في المصارف الإسلامية، وعلى المسفيد من ذلك، المسارعة إلى الأداء، وقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى الله عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ الله"**[549].

يبشِّر النبي صلى الله عليه وسلم كل من لزمه في ذمته حق وهو يريد الوفاء به أنَّ الله تعالى يؤدي عنه. ويشمل ذلك: تيسير الله تعالى قضاءها في الدنيا، بتيسر رزقه، ويشمل أداءها عنه في الآخرة بإرضاء خصمه وغريمه. وقد جاء الحديث عن ميمونة رضي الله عنها أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**ما من أحد يدَّان ديناً، فعلم الله أنه يريد قضاءه إلا أداه عنه في الدنيا**". وفي رواية: "**أعانه الله عزوجل**"[550].

المطلب التاسع: أسلوبه صلى الله عليه وسلم في نظافته، وحمايته من التلوث

نظافة الوطن وجه من أهم المظاهر التي تدل على تحضر أهله، وتعطي صورة جميلة للقاطنين فيه، والزائرين له، فضلاً عن أثرها البالغ في الحماية من الأوبئة والأمراض.

وقد جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة توجه المسلمين إلى أهمية النظافة، والحماية من التلوث، ولعل من أظهر ما يطالعنا في هذا المجال أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم:

---

[549] أخرجه البخاري، كتاب في الاستقراض، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها (2387) وابن ماجه، كتاب الصدقات، باب من ادّان ديناً لم ينو قضاءه (2411)

[550] أخرجه النسائي، كتاب البيوع، باب التسهيل فيه (الدين) (4686) وابن ماجه، كتاب الصدقات، باب من ادّان دينا وهو ينوي قضاءه (2408) وصححه ابن حبان (420/11)، والحاكم بشاهد عن عائشة (22/2 و23)

1- عدَّ النظافة شعبة من شعب الإيمان، وجزءاً من عقيدة المسلم التي يجب أن تكون واقعاً عملياً في حياته، قال صلى الله عليه وسلم: **"الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها لا اله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.. "**[551].

2- وجعل النظافة عبادة من العبادات التي يتقرب الإنسان بها إلى الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **"وإماطته الأذى عن الطريق صدقة"**[552].

وكلمة الأذى: كلمة عامة، وعليه فكل ما يؤذي الناس في صحتهم يدخل في مفهوم الأذى الذي يؤمر المسلم بإزالته، والتخلص منه، قال الإمام النووي: "هذه الأحاديث المذكورة في الباب، ظاهرة في فضل إزالة الأذى عن الطريق، سواء كان الأذى شجرة تؤذي، أو غصن شوك، أو حجراً يعثر به، أو قذراً، أو جيفة، وغير ذلك، وإماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان"[553].

وإذا كان التوجيه النبوي يحث على إزالة المؤذيات من الطريق فإنه يحمل في طياته النهي عن رمي الأوساخ في هذه الطرق من باب أولى.

3- وجعل النظافة متمثلة بإماطة الأذى عن الطريق سبباً من أسباب مغفرة الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: **"بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخَّره، فشكر اللهُ له، فغفر له"**[554].

---

[551] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً، (35)، عن أبي هريرة.

[552] أخرجه أبو داود، في سننه كتاب الأدب، باب إماطة الأذى، (5243)

[553] شرح صحيح مسلم للنووي (407/16)

[554] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم، باب من أخذ الغصن وما يؤذي الناس فرمى به، (2472) ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب بيان الشهداء، (1914) عن أبي هريرة.

4- وسبباً من أسباب دخول الجنة، يقول عليه الصلاة والسلام: **"نزع رجل لم يعمل خيراً قط غصن شجرة عن الطريق... فشكر الله له بها، فأدخله الجنة"**[555].

5- وباباً من أبواب الخير يدل عليها، وطريقة عملية من الطرق التي ينبغي أن تنتشر في المجتمع، قال أبو هريرة رضي الله عنه: قلت: يا نبي الله، علمني شيئا أنتفع به؟، قال: **"اعزل الأذى عن طريق المسلمين"**[556].

6- والنظافة كذلك من محاسن أعمال هذه الأمة، يقول عليه الصلاة والسلام: **"عرضت عليَّ أعمال أمتي حسنها وسيئها فوجدت من محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق"**[557].

7- بل إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم جعلها شعاراً للمسلمين يميزهم بها عن غيرهم من الأمم، يدل على ذلك أمره صلى الله عليه وسلم المسلمين بنظافة أفنية بيوتهم عندما قال: **"نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود"**[558].

8- ويبلغ التحذير الشديد ذروته عندما نجد النبي صلى الله عليه وسلم يعد إهمال النظافة، وتعريض الطرق للمخاطر البيئية أمراً يستوجب اللعن، وهو الطرد من رحمة الله، يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: **"اتقوا اللاعنَين"**. قيل: وما اللاعنان يا رسول الله؟ قال:**"الذي يتخلى في طريق الناس أو ظلهم"**[559].

قال ابن الأثير " اتقوا اللاعنين" أي: الأمرين الجاليين للعن، الباعثين للناس عليه فإنه سبب للعن من فعله في هذه المواضع، واللاعن اسم فاعل، من لعن فسميت هذه الأماكن لاعنة لأنها سبب اللعن"[560]، وأصل اللعن: الطرد، والإبعاد من الله، ومن الخلق: السب والدعاء.

ومعنى " الظل " في التعبير النبوي: المكان الذي ينزل فيه الإنسان من أجل راحته، أو نزهته أو غير ذلك.

---

[555] أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في إماطة الأذى عن الطريق، (5245) عن أبي هريرة، وابن حبان في صحيحه (540)

[556] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل إزالة الاذى عن الطريق، (2618)

[557] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب النهي عن البصاق في الماجد، (553)

[558] أخرجه الترمذي في جامعه، (2723) من حديث سعد بن أبي وقاص.

[559] رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالماء من التبرز، (269) عن أبي هريرة.

[560] النهاية، ص:837.

وقد عبَّر الحظابي عن سعة مفهوم الظل في الحديث عندما قال: "إنما يريد به المواضع التي يتخذها الناس مقيلاً ومناخاً ينزلونه"[561].

وعليه فإنَّ الحدائق العامة، والمنتزهات وغير ذلك من الأماكن بها حاجة إلى العناية الفائقة بعدم تعريضها للأوساخ والقاذورات بسبب كثرة مَنْ يرتادها من الناس[562]

المطلب العاشر: أسلوبه صلى الله عليه وسلم في تنمية السكان

الاهتمام بالسكان المقيمين في الوطن، هو غاية الغايات، وكل الوسائل التي ذكرناها إنما هي وسيلة لتحقيق هذا الهدف، وهو راحة الإنسان وسعادته؛ ليقوم بالواجب الذي خلق من أجله، وهو: عبادة الله سبحانه.

وينبغي الاهتمام بكل ما يحقق للإنسان سعادته في كل الجوانب: الدنيوية والأخروية، ولا بأس بذكر بعض الأمثلة على ذلك:

أولاً: الاهتمام بالجوانب الإيمانية، والاجتماعية، والإدارية في الوطن:

لقد كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، تعني نشاة أول دار إسلام إذ ذاك على وجه الأرض، وقد كان ذلك إيذاناً بظهور الدولة الإسلامية بإشراف منشئها وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولذا فقد كان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم، أن أقام الأسس الهامة لهذه الدولة، ممثلة في هذه الأعمال الثلاثة التالية، وهي:

الأساس الأول: بناء المسجد، ويظهرمدى أهمية المسجد في الأوطان:

[561] جامع الأصول (117/7)

[562] وينظر: كتابي "جوانب حضارية في السنة النبوية المطهرة"، الصادر عن جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، سنة 1434-2013.

1- أنَّ المجتمع الإسلامي إنما يكتسب صفة الرسوخ والتماسك بالتزام نظام الإسلام وعقيدته وآدابه، وإنما ينبع ذلك كله من المسجد.

2- أنَّ من نظام الإسلام وآدابه شيوع آصرة الأخوة والمحبة بين المسلمين، ولكن شيوع هذه الآصرة لا يتم إلا في المسجد.

3- أنَّ من نظام الإسلام وآدابه، أن تشيع روح المساواة و العدل فيما بين المسلمين في مختلف شؤونهم وأحوالهم، ولكن شيوع هذه الروح لا يمكن أن يتم ما لم يتلاق المسلمون كل يوم صفاً واحداً بين يدي الله عز وجل.

ولهذا أسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل كل شيء فبادر إلى بناء المسجد، وحث الأمة على بناء المساجد، فقد جاء عن عُثْمَانَ بنَ عَفَّانَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النبي ﷺ يقولُ: **"مَن بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي به وجْهَ اللَّهِ بَنَى اللَّهُ له مِثْلَهُ في الجَنَّةِ"**[563].

وقد طبَّقت الأمة هذا التوجيه النبوي، فانتشرت المساجد في الأوطان، وتنافس المحسنون في بنائها، والإنفاق عليها، وأصبحت المساجد زينة الأوطان، وبهجتها.

الأساس الثاني: الأخوة بين المسلمين، ذلك لأنَّ أي وطن لا يمكن أن ينهض إلا على أساس من وحدة الأمة وتساندها، ولا يمكن أن يتم ذلك بغير عامل التآخي، والمحبة المتبادلة.

ولأنَّ الضمانة الطبيعية والفطرية الأولى لتطبيق النظام، إنما هو التآخي والتوادد، يليها بعد ذلك ضمانة السلطة والقانون، من أجل هذا اتخذ رسول اللالله عليه وسلم من هذا المبدأ أساساً لمبادئ العدالة الاجتماعية التى قام على تطبيقها أعظم وأروع نظام اجتماعي في العالم.

الأساس الثالث: كتابة وثيقة بين المسلمين وغيرهم. وهي وثيقة حددت نظام حياة المسلمين فيما بينهم، وأوضحت علاقتهم مع غيرهم بصورة عامة واليهود بصورة خاصة[564].

ثانياً: الاهتمام بالعلم:

[563] رواه البخاري (450)

[564] وينظر في تفصيل ذلك كتب السيرة النبوية، القديمة منها والمعاصرة، وينظر في ذلك: كتاب فقه السيرة النبوية، للدكتور البوطي رحمه الله.

فهو من أهم مقومات الأوطان، وتقدمها، ورفعة شأنها، وقد قال النبي :صلى الله عليه وسلم **"طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ"**[565].

ورفع من شأن العلماء، فقال النبي ﷺ: **"مَنْ سلك طريقاً يطلبُ فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة...، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُورِّثُوا ديناراً ولا درهماً، ورَّثُوا العلم فمن أخذه أخذ بحظٍّ و افر"**[566].

قال النووي رحمه الله: "ليس بعاقل مَنْ أمكنه درجة ورثة الأنبياء، ثم فوَّتها"[567].

ولهذا ينبغي على كل مسلم أن يطلب العلم الشرعي بقدر استطاعته؛ لينال حظه من الوراثة النبوية، وكلما كان تحصيله أكثر، كان حظه من هذه الوراثة أكبر.

وإذا تأهل العالم ينبغي أن يشتغل بتصنيف الكتب النافعة حسب حاجة الناس لا سيما في الوطن الذي سكن فيه؛ فإنَّ الأوطان إنما يعلو شأنها بالعلماء، وتعرف بهم، فكم من قرية نائية، وبلدة غير معروفة، اشتهرت وعرفت بالعلماء الذين نبغوا فيها، وأبدعوا في تصنيف مؤلفات أصبحت المرجع في الفن الذي كتبوا فيه، والأمثلة في تاريخنا كثيرة.

وعلى المسؤولين في الأوطان أن يهتموا بتشجيع العلماء، وبناء المدارس، والمعاهد، والجامعات، ومراكز البحث، فإن لذلك أكبر الأثر في رفعة الأوطان، وعلو شأنها.

ثالثاً: الاهتمام بالصحة:

من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في العناية بالصحة الجسدية أنه أمر بالتداوي، وحث عليه، وأرشد إلى أن " **لكل داء دواء ...** "[568] وبذلك فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم باب الأمل على مصراعيه أمام الأطباء والمرضى معاً من كل مرض ولم يعد لمقولة الأمراض المستعصية محلٌ في عالم الطب.

---

[565] أخرجه ابن ماجه (224) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

[566] رواه أبو داود (3641)

[567] المجموع شرح المهذب (٩٦/١)

[568] رواه مسلم، كتاب الطب، باب لكل داء دواء، واستحباب التداوي (2204) عن جابر.

إنَّ هذا التوجيه النبوي فيه رحمة بالغة بالإنسان، فهو صلى الله عليه وسلم لم يدعه فريسة للأمراض تفتك به، بل أرشده إلى المسارعة إلى التداوي، وهو بذلك يقرر الطب الصحيح القائم على العلم والتجربة، ويقاوم طب الكهنة والسحرة الذي لا يزيد من اعتمد عليه إلا إرهاقاً ومرضاً، وعوضه عن ذلك بالاستعانة بالله عن طريق الأدعية والأذكار وبذلك قطع صلة الإنسان بالخرافة، وأوصله إلى بر الأمان، وشاطئ الاطمئنان: إلى العلم والإيمان.

ونظراً لما وصل إليه الطب من تطور في عصرنا الحاضر فعلى الإنسان أن ينتفع من مقرراته في حفظ صحته، وحماية جسده، ولا بأس باللجوء إلى الكشف المبكِّر عن الأمراض، فقد قرَّر الأطباء أنَّ الكشف المبِّكر عن الأمراض، أحد الوسائل المهمة في مكافحة الشيخوخة، والتخلص من كثير من أمراضها[569].

رابعاً: الاهتمام بالأطفال والمسنين[570]:

ينبغي الاهتمام بالأطفال من كل النواحي، لأنهم أمل المستقبل لكل أمة تسعى أن يكون لها موقعاً بين الأمم، كما ينبغي الاهتمام بكبار السن وفاء لما قدموه للوطن من خدمات، وقد جاء عن عبد الله بن عمرو أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"ليس منا مَنْ لم يعرف حق كبيرنا، ويرحم صغيرنا"**[571].

وما جاء عن عبادة بن الصامت أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**"[572].

---

[569] انظر الصحة والجمال د. مازن صواف 134.

[570] وللتوسع في هذا الموضوع، ينظر: كتابي "جوانب حضارية في السنة النبوية المطهرة"، الصادر عن جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، سنة 1434- 2013.

[571] رواه أحمد 527/11 (6935) واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد (358)، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في الرحمة (4943)، والترمذي كتاب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان (1920) وقال: "حديث حسن صحيح ". وقال: قال بعض أهل العلم: معنى قول النبيصلى الله عليه وسلم : "ليس منا" أي: ليس من سنتنا.

[572] رواه أحمد 416/37 (22755)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (1328)، والحاكم 122/1، والبزار (2718)، وقال المنذري في الترغيب (169): "بإسناد حسن". ولفظة: حقه، جاءت في مسند الشاشي (1273)

إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد أُرسل رحمة للعالمين، وكان من أصول شريعته رفع الحرج عن الناس وعدم تكليفهم فوق طاقتهم، ومن مظاهر هذه الرحمة في شريعته: تشريع الرخص والتخفيفات للمرضى والمسنين:

ولكن متى يشرع للمسن الأخذ بهذه الرخص والتخفيفات؟ وهل يوجد للمسنين فقه خاص يختلف عن الفقه العام للمسلمين كافة ؟

إنَّ فقهاء المسلمين لم يفردوا أحكاماً خاصة للمسنين، إذ ليس للمسن أحكام تخصه إلا إذا وصل إلى مرحلة الضعف الشديد أو صاحبه مرض ما، وعندها فإن الرخص التي تشملهم هي رخص لهم باعتبار عدم الطاقة والمرض لا باعتبار السن فقط، ولهذا نلاحظ في بعض النصوص تقييد " الشيخ " بالفاني، والهرم، والكبير، والزمن، والضعيف وما إلى ذلك.

وعليه فلا نتفق مع بعض الباحثين الذين كتبوا في قضايا المسنين، وأحكامهم الخاصة وذهبوا إلى أنَّ التأليف في علم الشيخوخة قد تأخر!

إنَّ من محاسن الإسلام ومن خصائصه في رعاية هذه الفئة: أنه أدمج المسنين في أفراد المجتمع، ولم يميزهم بأحكام خاصة بهم، حفاظاً على مشاعرهم، وإبقاءً على حيويتهم من أن تمس، وحرصاً على نفوسهم من أن تتسرّب إليها عوامل الضعف فضلاً عن الشعور أنهم الفئة الأقل شأناً، والأضعف عطاءً، ثم جاءت رعاية السنة لهم لتقوّي هذا الجانب، وترفعهم في أعين الأجيال التالية، وتجعلهم سادة في أسرهم ومجتمعاتهم. خلافاً للفكر المادي الذي كان تربةً خصبة لظهور مشكلة المسنين، ثم بدأ يتلمس لها الحلول.

إنَّ المسن إما أن يكون سليماً فيأخذ كامل حقوقه التي وجبت له في ظل التشريع الإسلامي، وعليه كل الواجبات لكونه فرداً من أفراد المسلمين.وإما أن يكون مريضاً فتشمله كل الرخص والتخفيفات التي يستحقها بسبب مرضه.

وعليه فأنا هنا لا أريد البحث عن أحكام المريض لأن كثيراً من الدراسات والأبحاث الفقهية قديماً وحديثاً قد تناولته، وسأقتصر على نماذج من هذه الرخص مما ثبت في السنة النبوية، لكونها تمثل جانباً من جوانب رعاية المسنين فيها.

نماذج من رحمة النبي صلى الله عليه وسلم **بالمسنين:**

1- **من مظاهر رحمة النبي** صلى الله عليه وسلم **بالمسن، ورفع الحرج عنه**، ما جاء عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى شيخاً يُهادى بين ابنيه فقال : ما بال هذا ؟ قالوا : **نذر أن يمشي قال: إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني، وأمره أن يركب.**[573]

وفي رواية: **اركب أيها الشيخ فإنَّ الله غني عنك وعن نذرك.**[574]

2- **أنَّ النبي** صلى الله عليه وسلم **أرشده إلى عدم تمني الموت** فإن كان محسناً فلعله يزداد، وإن كان مسيئاً فلعله يتوب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**.. ولا يتمنينّ أحدكم الموت إما محسناً فلعله أن يزداد خيرا، وإما مسيئاً فلعله أن يستعتب**"[575].

وأرشده إلى حسن الدعاء بقوله " **فإن كان لا بد فاعلاً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي**" [576].

3- أمر النبي صلى الله عليه وسلم **مَنْ يؤم الناس في صلواتهم التخفيف لأن معهم كبير السن:**

قال عليه الصلاة والسلام: "**إذا صلى أحدكم للناس فليخفف، فإنَّ منهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطوّل ما شاء**"[577].

---

[573] رواه البخاري، كتاب الحج، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة (1865)

[574] رواه مسلم، كتاب النذر، باب من نذرأن يمشي إلى الكعبة (1643)

[575] رواه البخاري، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت (5673)

[576] رواه البخاري، كتاب المرضى، باب تمني المريض الموت (5671) ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به (2680) وغيرهما.

[577] رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء (703) ومسلم كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام (467)

4- **مشروعية أن ينيب غيره ليحج عنه إذا لم يستطع، وكان له مال:** لحديث ابن عباس: أن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله: إنَّ فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة، أفأحجّ عنه؟ قال: **نعم.** وذلك في حجة الوداع [578].

5- **ومن مظاهر الرحمة بالمسن المريض الرخصة له بأن لا يصوم، ويطعم مكان كل يوم مسكيناً:** قال تعالى: **(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين)** {البقرة: 184}

قال ابن عباس: هذه الآية رخصة للشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما فيطعما مكان كل يوم مسكيناً، وهذا رأي جمهور الفقهاء[579].

6- **نهي النبي** صلى الله عليه وسلم **عن قتل المسن غير المقاتل ولو كان كافراً**، بدليل ما جاء عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا طفلاً، ولا صغيراً، ولا امرأةً**... "[580]. وفي هذا تكريم للمسنين حتى في حال الحروب.

وهكذا كانت رعاية الصحابة للمسنين لم يفرقوا بين مسلم وكافر,يدل على ذلك ما جاء في نص الوثيقة التي صالح عليها خالد بن الوليد رضي الله عنه نصارى الحيرة بالعراق في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفيها: "وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنياﹰفافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمبن وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام"[581].

[578] رواه البخاري، كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله (1513)، ومسلم كتاب الحج، باب الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما (1334).

[579] انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (360/1)

[580] رواه أبو داود كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين (2614)

[581] الخراج لأبي يوسف: ص144.

ومرَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشيخ يهودي وهو يسأل على الأبواب, فأنكر ذلك عمر، وقال: "ماأنصفناك إذا أخذنا منك الجزية شاباً، وأهملناك شيخاً، ثم أمر خازن بيت المال أن يصرف له ولأمثاله من بيت المال مايكفيه"[582].

خامساً: الاهتمام بالمرأة:

للمرأة في الإسلام مكانة كبيرة، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه؛ فالنساء شقائق الرجال، وخير الناس خيرهم لأهله. ومن المواقف المشرفة في الاهتمام بالمرأة، ما كان في خطبة الوداع، فقد جاء عن عمرو بن الأحوص الجُشَمي صلى الله عليه وسلم، أنه سمع النبي ﷺ في حجة الوداع يقول بعد أن حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكَّر ووعظ، ثم قال: "ألا واستوصوا بالنساء خيراً.."[583].

فقد وقف النبي صلى الله عليه وسلم على رؤوس الأشهاد يوصي بها خيراً، ويقرر لها حقوقاً وواجبات، والحديث عنها يطول، ولهذا سأكتفي بما ذكر.

قائمة المصادروالمراجع

1. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (ت1385هـ)، جمع وتقديم نجله: الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م.
2. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لعلي بن بلبان الفارسي (ت739هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.
3. الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، دار المعرفة - بيروت.
4. أدوات التمويل وموجهاته في الحديث النبوي، للأستاذ الدكتور عبدالسميع محمد الأنيس، بحث نشر في وقائع منتدى فقه الاقتصاد الإسلامي المنعقد في دبي، ٢٠١٥م.

[582] الاموال لأبي عبيد ص:56.

[583] أخرجه الترمذي، أبواب الرضاع عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، (1163)

5. الأموال، لأبي عُبيد القاسم بن سلّام الهروي البغدادي (ت224هـ)، تحقيق: خليل محمد هراس، دار الفكر – بيروت.
6. البركة في فضل السعي والحركة، لمحمد بن عبد الرحمن الحبشي (ت782هـ)، دار المعرفة - بيروت، 1993م.
7. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر القرطبي (ت463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبدا لكبير، وزارة الأوقاف - المغرب، 1387هـ.
8. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير الجزري (ت606هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني – دمشق، ط1، 1389 – 1392هـ / 1969 – 1972م، وتتمته بتحقيق بشير عون، وطبعة دار الفكر – بيروت، ط2، 1983م.
9. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لمحمد بن أحمد القرطبي (ت671هـ)، 1990م، وطبعة دار ابن حزم – بيروت، 2004م.
10. جوانب حضارية في السنة النبوية المطهرة"، للدكتور عبدالسميع الأنيس، الصادر عن جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، سنة 1434- 2013.
11. الحقوق الشرعية لوطني المملكة العربية السعودية، للدكتور إسماعيل محمد علي عبد الرحمن، بحث ضمن ندوة: "الانتماء الوطني في التعليم العام رؤى وتطلعات" المنعقدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض 1430هـ.
12. الخراج، لأبي يوسف القاضي (ت182هـ)، دار المعرفة – بيروت.
13. الروض الأُنف في شرح السيرة النبوية، للسهيلي (ت581هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1412هـ
14. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية - دمشق، ط1، 1430هـ - 2009م.
15. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية - دمشق، ط1، 1430هـ، وطبعة دار الجيل - بيروت، 1992م.

16. سنن الترمذي = الجامع للترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت279هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ، وطبعة بتحقيق: أحمد محمد شاكر وإبراهيم عطوة عوض، دار الحديث - القاهرة، 1980م.

17. سنن النسائي، أحمد بن شعيب (ت303هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط2، 1406هـ

18. شرح البخاري لابن بطال (ت449هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – الرياض / السعودية، ط2، 1423هـ - 2003م.

19. شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر الطحاوي (ت321هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1415هـ - 1994م.

20. الصحة والجمال، مازن صواف، دبي، ط 2، 2005م.

21. صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، تحقيق جماعة من المحققين، بعناية الدكتور محمد زهير الناصر، مع ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة – بيروت، ط1، ١٤٢٢هـ

22. صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ)، تحقيق: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار الأرقم - بيروت، 1999م، وطبعة بتحقيق: موسى شاهين وأحمد عمر هاشم، مؤسسة عز الدين، ط1، 1987م.

23. عمارة الأرض في الإسلام، للدكتور جميل عبد القادر أكبر، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط3، 1998م.

24. عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد شمس الحق العظيم آبادي (ت1329هـ) ومعه حاشية ابن القيم المسماة: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1415هـ - 1995م.

25. غريب الحديث، للخطابي (ت388هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي (ت١٤٤١هـ)، دار الفكر – دمشق، 1402هـ - 1982م.

26. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني (ت852هـ)، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، وإشراف محب الدين الخطيب، طبعة دار المعرفة – بيروت، 1379هـ، وطبعة دار الريان للتراث - القاهرة، 1987م.

27. قضايا البيئة من خلال القرآن الكريم والسنة، للدكتور محمد السيد جميل

28. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للعجلوني (ت1162هـ)، مكتبة القدسي- القاهرة، 1351هـ

29. لسان العرب، لابن منظور (ت711هـ)، بحواشي اليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ، وطبعة1، 1990م، وطبعة دار المعارف - القاهرة.

30. مثير الغرام الساكن الى أشرف الأماكن، لابن الجوزي (ت597هـ)، تحقيق: الدكتور مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث – القاهرة، ط1، 1415هـ - 1995م.

31. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين الهيثمي (ت807هـ)، دار الريان للتراث – القاهرة / دار الكتاب العربي - بيروت، 1987م.

32. المجموع شرح المهذب، ليحيى بن شرف النووي (ت676هـ)، دار الإرشاد – جدة.

33. المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري (ت405هـ)، (مع تضمينات الذهبي والعراقي والمناوي)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ - 1990م.

34. مسند أحمد بن حنبل الشيباني (ت241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وزملائه، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1421هـ - 2001م، وطبعة بتحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط1، 1416هـ - 1995م.

35. المطر والرعد والبرق، لابن أبي الدنيا (ت281هـ)، تحقيق: طارق محمد سكلوع العمودي، دار ابن الجوزي - الدمام / السعودية، ط1، 1418هـ

36. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج = شرح النووي على مسلم، ليحيى بن شرف النووي (ت676هـ)، دار ابن حزم – بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م.

37. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (ت606هـ)، دار ابن الجوزي - السعودية، ط1، 1421هـ